niتاريخ الأندلس موضوع تناولته كثير من المؤلفات ، ومع هذا فلا بد من الترجمة له ؛ حتى تكون الدراسة شاملة متكاملة ، ولذلك رأيت أن أتحدّث باختصار و بإيجاز عن تاريخ المسلمين في الأندلس، مركّزة على أهمّ ما ميّز هذه الحقبة من الناحية السياسية ثم الفكرية؛ فحاولت أن أقف وقفة موجزة على تاريخ الأندلس ومراحل الحكم العربي فيها، حتى يتسنى لي فيما بعد أن أتحدّث عن الحالة الفكرية والثقافية لكلّ مرحلة، وحتى يتّضح ما سيتم إيراده بإذن الله تعالى في فصول هذه المذكرة .

1- الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس :

لقد كان الفتح الإسلامي في الأندلس سنة اثنتين وتسعين للهجرة بفضل طارق بن زياد(ت102هـــ)؛ الذي خلّد التاريخ اسمه بسبب هذا الفتح العظيم؛ حيث تذكر الروايات أنّ **طارق** ركب البحر إلى الأندلس من جهة مجاز الجزيرة الخضراء ، منتهزا لفرصة أمكنته، وذلك أنّ الذي كان يملك ساحل الجزيرة الخضراء وأعمالها من الروم خطب إلى الملك الأعظم ابنته فأغضب ذلك الملك ونال منه وتوّعده، فلما بلغه ذلك جمع جموعا عظيمة وخرج يقصد بلد الملك، فبلغ **طارق** خلُوَّ تلك الجهة فهذه هي الفرصة التي أُتيحت لطارق بن زياد"[1].

2- مراحل الحكم العربي:

دام حكم العرب في اسبانية ثمانية قرون من سنة (92 هـــ/ 711 مـــ - 898 هـــ / 1492مـــ) و مثّلت هذه المرحلة العصر الذهبي في تاريخ الأندلس ، وقد مر حكم العرب في الأندلس بعدة مراحل:

2 ــ 1 : عصر الولاة أو ما قبل عبد الرحمن الداخل :بدأ عصر الولاة في الأندلس **بطارق بن زياد** ثم **بموسى بن نصير**(ت97هـــ) ثم **بعبد العزيز بن موسى بن نصير(ت97هـــ)**، و بعد أن مرَّ على مقتل هذا الأخير نحو ستة أشهر[2] أصبح الاضطراب السياسي هو العنوان

---

[1] – المراكشي، عبد الواحد ، "المعجب في تلخيص أخبار المغرب "، تحقيق: محمد زينهم، محمد عزب،دار الفرجاني، القاهرة، دط، دت، ص: 17.

[2] – جورج غريب ، "العرب في الأندلس"، سلسلة الموسوع في الأدب العربي، دار الثقافة، بيروت ــ لبنان، (د.ط)، (د.ت) ، ص: 13

الرئيس في هذه الولاية [1]، والأمويّون غافلون عن إرسال من يتعهد أمر الولاية ؛ فإذا بزعماء البربر يختارون لتلك المهمّة **أيوب بن حبيب اللخمي**، أحد أقرباء **موسى بن نصير**، على أنّ محمد بن يزيد عامل افريقية من قبل الخليفة **سليمان بن عبد الملك** عزله بعد مدة قصيرة واستخلفه **بالحر بن عبد الرحمن الثقفي**. وظل الولاة يتعاقبون على الأندلس [2] بتعيين من دمشق مباشرة ، أو من والي إفريقية أو والي مصر [3]، واستغرق عصرهم حوالي 42 سنة ، تولّى حكم الأندلس خلالها بعد موسى وطارق عشرون واليا .[4]

ونجد أنّ عصر الولاة قد مثّل في الأندلس التحوّل والانتقال إلى حياة جديدة خيّرة فيها التنوّر والامتداد في الغروس الثابتة النيرة وهو هدف أصيل [5]،حيث اهتم الحكام بتنظيم البلاد وإدارتها وحسن السياسة للرعية، والقيام بالإصلاحات اللازمة [6]. فراحوا يوغلون في الفتوحات حتى بلغوا سهول إبواتِيه في قلب فرنسا ، وعندها ردَّتهم جيوش الفرنجة بقيادة **شارل مارتل** ، وكان ذلك عام 114 هـــ/ 732 مـــ ، وترامى إلى سمع العرب في المشرق ما كان من فتح الأندلس الخصبة الغنية ، فتقاطروا إليها حاملين معهم عصبيّتهم القبلية ومنازعاتهم الحزبية، فاندلعت الفتنة بين المسلمين من قحطانية وعدنانية أو قيسية ويمانية ، وتفاقم بذلك الشر [7].فكانت هذه المرحلة من أصعب المراحل التاريخية التي مرت بها الأندلس بعد الفتح؛ ذلك أنّها اتسمت بالفوضى وعدم الاستقرار ، وبالانقسام الداخلي والفتن المتواصلة بين العرب

---

[1] – إبراهيم بيضون، "الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة 92 هـــ - 466 هـــ، 711 مـــ / 1031 مـــ"، دار النهضة العربية، بيروت ـــ لبنان، 1980مـــ، ص: 91.

[2] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 13.

[3] – محمد رضوان الداية ، "في الأدب الأندلسي"، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ت)، ص: 29.

[4] – يُنظر: المقرّي، أحمد بن محمد التلمساني، " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب "، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ـــ لبنان، دط، 1408هـــ/1988مـــ، 1/ 299 .

[5] – يُنظر: عبد الرحمن علي الحجي ، "التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة"، دار العلم، دمشق، ط 2، 1429 هـــ، 2008 مـــ، ص: 135.

[6] – يُنظر: "عبد الرحمن علي الحجي"، المرجع نفسه"، ص: 137.

[7] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 13.

والبربر من جهة ، وبين العرب أنفسهم أحيانا ، وبين المسلمين عموما والفرنجة من جهة أخرى.[1]

ويتضّح هذا جليّا من القائمة الطويلة للحكام الذين لم يطل بهم المقام حتى حصدهم العزل أو القتل أو الهرب ، وبطبيعة الحال فإنه عهدٌ عسكريّ خالص له مهماته القتالية اتسم بالصراع الذي لم يكن لينتهي حتى يبدأ من جديد .[2]

وخلال هذه الفترة كان الأمويون في الشرق قد ضعُفوا أمام استفحال الدولة العباسية فباتوا عاجزين عن ضبط ولاياتهم البعيدة ، وباتت الأندلس معهم في حالة اضطراب [3]، وفوضى وفوضى يتلاعب بها الجند على هواهم .

2-2: عصر بني أمية (138 هـ /755 م - 422 هـ/1030 م) : أبت الأقدار أن تنطوي أعلام البيت الأموي في الشرق إلا لتحلّق في سماء الغرب ناشرة في الخافقين مجد الإسلام وحضارته،فبعد أن قتل العباسيون مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة ،وتتبعو بني مروان بالقتل فقُتِل منهم خلق كثير وفرّ آخرون ، وكان من بين الفارين عبد الرحمن بن معاوية بن هشام(ت 172هـ) [4]. فقصد المغرب مستخفيا ؛ حيث لقي من أخواله البربر رعاية وحسن ضيافة ، ومن موالي المروانية في الأندلس نصرا وشد أزر ؛ **مسهّلين له دخول البلاد وموطّنين له عرش قرطبة، ولضعف الدعوة العباسية في** الأندلس قُدِّر **لعبد الرحمن** أن يخضع البلاد كلها لسلطانه[5]، بعد أن صفا له الجوّ وصار له أمر الأندلس كله بغير منازع ، وانتهى على يديه العصر الأول من عصر الأندلس الإسلامية ، وهو عصر

---

[1] - قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ،لبنان ،دط،دت،ص: 21، ويُنظر: حنا الفاخوري، "الموجز في الأدب وتاريخه"، "الأدب في الأندلس والمغرب: أدب الانحطاط"، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3، 2003 م، 1424 هـ، ص: 14. ويُنظر: حسين مؤنس، "فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711 هـ - 756 م)"، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2006 م، 1423 هـ، ص205

[2] - يُنظر: قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، ص: 21.

[3] - جورج غريب، "العرب في الأندلس"،ص 13

[4] - يُنظر: المقري ، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"،1/ 327 ، 328.

[5] - جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 14.

الولاة[1]، فعُرف بـــ"الداخل" و"بصقر قريش"، وكانت مدّة ملكه من سنة 138 هـــ/755مـــ إلى سنة 172 هـــ / 788 مـــ.

ومن أعمال **عبد الرحمن بن معاوية:** قطع الخطبة عن بني العباس والدعاء له على المنابر، وبناء المسجد الجامع في قرطبة [2] ؛ التي جعل منها عاصمة ملكه [3]، وإقامة مدينة الرصافة على مثال رصافة جدّه هشام في الشام وجعل بلاطه مَجْلى الأبهة والبهاء [4]. فتمكن بدهائه وألمعيته أن يبني للأمويين ملكا جديدا وصرحا شامخا في المغرب بعد زوال ملكهم في المشرق [5]، وهكذا وبعد أن دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأندلس طريدا وحيدا لا أهل له ولا مال[6]، استطاع بفضل دهائه وحكمته وشجاعته أن يسيطر على الحكم فيها واستمر على هذه هذه الحال حاكما للأندلس أربعا وثلاثين سنة حتى سنة 172 هـــ - 788 مـــ، وخلال الفترة التي حكم فيها عبد الرحمن الداخل الأندلس صارت هذه الأخيرة تتمتع من الناحيتين السياسية والاجتماعية بصفات الدولة القوية المنظمة، وبهذا تكون الأندلس الإسلامية قد نعمت بوحدتها لأول مرة تحت سلطة رجل فولاذي حكمتها قرابة خمس وثلاثين عاما ثم توالت رجالات بني أمية من أحفاد عبد الرحمن على حكم الأندلس حتى بداية القرن الخامس الهجري[7].

2 ــ 3: عصر الملوك الطوائف: بعد اختلال دعوة بني أمية في الأندلس فإن أهلها تفرقوا فِرَقًا وتغلب على كل جهة منها متغلب وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه [8] وتقاسموا ألقاب الخلافة فمنهم من تسمّى بالمعتضد، وبعضهم تسمى بالمأمون، وآخر بالمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتمد والموفق والمتوكل إلى غير ذلك من الألقاب الخلافية .

---

[1] – حسين مؤنس، "فجر الأندلس"، ص: 687.

[2] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 14.

[3] – يُنظر: المقري التلمساني، "نفح الطيب"، 1/ 329.

[4] – جورج غريب، ، "العرب في الأندلس"، ص: 14.

[5] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه"، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1989 مـــ،ص: 19.

[6] – يُنظر: عبد الواحد المراكشي، "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، ص: 27.

[7] – قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، ص: 24 .

[8] – عبد الواحد المراكشي، "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، ص: 72، ويُنظر: عبد الرحمن علي الحجي، "التاريخ ألأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة"، ص: 351 .

إذا، بانتهاء الحكم المرواني صار كل من يجد في نفسه القدرة على القفز إلى السلطة من الأمراء والرؤساء يستولي على إمارته، ويستقل بها ثم يسميها دولة وينصب نفسه ملكا عليها، ويتخذ من أهم مدنها عاصمة له، ومن أهم هذه الدويلات[1].

2 ــ 3 ــ 1 :الدولة الزيرية : في غرناطة ، استقلت زمن خلافة المرتضي (403هـــ/1012مـــ - 483 هـــ/ 1090 مـــ).

2 ــ 3 ــ 2: الدولة الحمودية: في قرطبة ومالقة والجزيرة الخضراء، استقلت في عهد المستعين وهي شيعية مغربية إدريسية من سلالة الحسن بن علي مدة حكمها من سنة 407 هـــ / 1016 مـــ إلى سنة 450 هـــ / 1058 مـــ.

2 ــ 3 ــ 3: الدولة الهودية : في سرقسطة وهي دولة عربية (410 هـــ / 1019 مـــ - 536 هـــ / 1141 مـــ)، ومن ملوكها: المقتدر بالله والمؤتمن.

2ــ 3 ــ 4: الدولة العامرية في بلنسية: (412 هـــ - 478 هـــ/ 1021 مـــ / 1085 مـــ)[2] وهم من مولى بني عامر[3].

2 ــ 3 ــ 5: الدولة العبادية: في اشبيلية (414هـــ - 484 هـــ/ 1023 مـــ/ 1091مـــ) وهي دولة عربية من لخم من ولد النعمان بن المنذر وهي من أعظم الدول في القوة الحربية والسياسية ومن أعظمها في تشجيع العلم والأدب.

2 ــ 3 ــ 6: دولة بني الأفطس: في بطليوس،وهي دولة بربرية(421 هـــ/ 1030 مـــ - 487 هـــ/ 1094 مـــ) وكانت دولة ذات حضارة في العلوم والآداب[4].

2 ــ 3 ــ 7: الدولة الجهورية في قرطبة: قامت بعد سقوط الدولة الأموية (422هـــ/ 1030 مـــ - 461 هـــ/ - 1068 مـــ).

---

[1] – ينظر ابن خلدون، عبد الرحمان " تاريخ العلامة ابن خلدون " ، تقديم: عبد الهادي بن منصور، وعبد القادر بو زيدة، وأحمد هني، موفم للنشر، الجزائر، (د ط) ،1995، 115/2 .

[2] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص:17

[3] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 24 ، وينظر جورج غريب "العرب في الأندلس"، ص:17 .

[4] – يُنظر: محمد علي سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه " ص: 25، وجورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 18، ومحمد رضوان الداية، "في الأدب الأندلسي"، ص: 35.

2 ــ 3 ــ 8: دولة ذي النون: وهي دولة بربرية (427 هـــ / 1035 مـــ - 478 هـــ/ - 1085مـــ)[1]، والجدير بالذكر أن أهم مميزات هذه الدويلات كثرة الحروب التي أشعلوها فيما بينهم طلبا للتوسع والمجد الشخصي، الغلبة فيها للقوي على حساب الضعيف فيضم مملكته إلى ملكهِ أو يضم جزئا منها كما حدث وأزال "بنو عباد" مُلك "بني جهور" في قرطبة[2].

وما يزيد الطين بلّة أنّ التاريخ قد سجّل على بعض هذه الدويلات أمورا تشعرنا بالخزي والعار حيث أنهم تجرأوا واستعانوا بملوك الفرنجة لمساعدتهم في القضاء على مناوئيهم من إخوانهم المسلمين، وكنتيجة طبيعية لهذه الخلافات والتراعات استولى الفرنجة على كثير من بلاد الأندلس واحدة بعد الأخرى[3]، وعلى الرغم من سوء الحال السياسية في عهد ملوك الطوائف فإن ذلك لم يمنع العلوم والآداب من أن تنعم بنهضة مباركة[4].

دام أمر الطوائف حوالي مائة سنة (تقريبا)، استطاع في أواخرها ملوك الفرنجة أن يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم على حساب تشتّت وتفرّق كلمة وصفوف المسلمين، فهاجم الفرنجة هذه الدويلات واستولوا على معظمها واحدة تلو الأخرى حتى بلغوا اشبيلية حاضرة بني عباد، وضايقوا المعتمد مما دفعه إلى طلب النجدة من أمير المرابطين بالمغرب فجاء يوسف بن تاشفين(ت510هـــ) بجيشه الباسل وأسقط ملوك الطوائف عدا دولة سرقسطة لأن صاحبها اعتصم بالفرنجة فحموه حينا إلى أن تمكن منها المرابطون سنة 503 هـــ/ 1109 مـــ[5].

2 ــ 4: عصر المرابطين (448 هـــ / 1147 مـــ ــ 541 هـــ/ 1056 مـــ):

موطنهم في إفريقيا في الصحراء الغربية (موريتانيا) من صنهاجة وتُعرف بصنهاجة اللثام.[6]

---

[1] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 18.

[2] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 25.

[3] – علي محمد سلامة، " الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه " ، ص: 25 .

[4] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 18.

[5] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه " ، ص: 26 .

[6] – محمود السيد، "الفتوحات الإسلامية"، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، 2001، ص: 85 ــ 86 .

وإزاء الضعف الذي آلت إليه بلاد الأندلس، استنجد أهلها بـــ (يوسف بن تاشفين)برسالة كتبها المعتمد بن عباد يخبره فيها بحال الأندلس الذي أصبح مزريا فلبى يوسف نداء الأخوة الإسلامية واستغاثة المستجير وعبر إليهم بجيش المرابطين لإنقاذهم مرتين ،كانت الأولى سنة[1] 479 هـــ/ 1086 مـــ والثانية تمت سنة 483 هـــ/ 1090 مـــ، وانتصر على الفرنجة انتصارات ساحقة وخاصة في موقعة "الزلاقة" الشهيرة في رجب سنة 479 هـــ/ 1086 مـــ وفي النهاية استطاع أن يقضي على ملوك الطوائف وضم الأندلس إلى ملكه بعد أن أسر "المعتمد"[2]، وحملته السفن إلى "أغمات"؛ حيث أمضى آخر أيامه[3].

وفي سنة 500 هـــ / 1106 مـــ مات **يوسف بن تاشفين** بعد أن استكانت له الأندلس وباتت ولاية للمرابطين ،وخلفه في إمارة المسلمين ولده "علي" الذي انتقل إلى مراكش تاركا أخاه "تميما" نائبا عنه في الأندلس. وفي أيام علي ظهر في جبال المصامدة بالمغرب الأقصى المهدي محمد بن تومرت فكان ظهوره سببا لقيام دولة الموحدين التي جرت الوبال على دولة المرابطين[4]، ودام حكم المرابطين في الأندلس ستين عاما، فيها نشأت الحركة الفكرية وبرز وبرز أكابر العلماء[5].

2 ــ 5: عصر الموحدين:كان المرابطون قساة القلب جفاة الطبع فتجافوا بأنفسهم عن الأدب والتسامح فتعصبوا مذهبيا لمذهب مالك وكرهوا ما عاداه من المذاهب فانكشفت عنهم الجموع وتطلعت بأعناقها إلى دولة أخرى، وكانت هذه الدولة قد بدأت في التروع في إفريقيا وفي صحراء المغرب حيث ظهر الموحدون وهم أصحاب محمد بن تومرت(ت524هـــ)[6*] الذي نشأ في جبل السوس بالمغرب الأقصى بين قومه قبيلة مصمودة

---

[1] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 27 .

[2] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 28.

[3] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 20.

[4] – جورج غريب، المرجع نفسه، ص: 21.

[5] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 28.

[*] – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، المنعوت بالمهدي الهرغي صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب، يُنظر: وفيات الأعيان، 5/ 45.

[6] – قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، ص: 32 ــ33.

وهي قبيلة شديدة البأس كثيرة العدد، وكان شجاعا فصيحا في اللسان العربي والمغربي[1]، ولذلك فإن مدارس المغرب لم تشبع نهمه إلى العلم فقصد بغداد وتلمذ لحجة

الإسلام أبي حامد الغزالي(ت505هـــ) في المدرسة النظامية وعاد بطريقة أطلق عليها اسم التوحيد، تدعو إلى إتباع الشرع وإحكام السنة و إلى مقاومة الحكام الفاسدين فانقاد له الكثير من قومه؛ فعرفوا بالموحدين[2].

كان محمد بن تومرت فتى تقيا وصالحا منذ حداثته كما كان ثوريا بالمعنى الحديث لهذه الكلمة، فتبعه قومه وقالوا له أنت المهدي المنتظر وبايعوه على ذلك وأعلن الموحدون الجهاد على المرابطين فغلبوهم في إفريقيا ثم طاردوهم في الأندلس حتى أخرجوهم منها[3].

مات محمد سنة 524هـــ وقومه يحاصرون مراكش ويجاهدون المرابطين، وكان قد أوصى لعبد المؤمن بن علي اقرب صحابته العشرة إليه فبايعه الموحدون بالخلافة ولقبوه بأمير المؤمنين فأقام دولتهم على أنقاض دولة المرابطين، وامتلك الأندلس وجعلها إحدى ولاياته [4]، وتعاقب على دولة الموحدين بعد المهدي خليفتان بلغت معهما الدولة ذروة مجدها، يكفي الأول منهما أن يكون قد استقدم إلى بلاطه الفلاسفة أمثال ابن طفيل وابن رشد وأن يكون من آثاره العمرانية منارة الجامع الكبير في اشبيلية[5]، وقد دام ملك الموحدين نحو مائة وثلاثين سنة وفي نهايتها تمكن النصارى من قهرهم وإخراجهم من الأندلس والاستيلاء على أكثر إماراتها[6]،بعد أن ظهرت فترة اتسمت بالتشرذم والتشتت والضعف مشابهة لتلك التي كانت في عصر الطوائف؛ مما ساعد على تكالب العدوّ على البلاد والعباد[7].

---

[1] – يُنظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي علي بكر بن خلكان (681 هـــ)، "وفيات ألأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان"، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 46/5.

[2] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 22.

[3] – قيصر مصطفى ، "حول الأدب الأندلسي"، ص : 32 ــ33 .

[4] – جورج غريب، "العرب في الأندلس"، ص: 22.

[5] – المرجع نفسه، ص: 23، ويُنظر: محمد رضوان الداية، "في الأدب الأندلسي"، ص: 37 ــ38.

[6] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 30.

[7] – يُنظر: محمد رضوان الداية، "في الأدب الأندلسي"، ص: 38.

2 ــ 6: عصر بني الأحمر (635 هــ / 1237 مــ ــ 898 هــ/ 2 1492 مــ)

مع ضعف الموحدين في المغرب والأندلس ظهر على الساحة عدد من الطامعين من الولاة والقادة وغيرهم، فثار عليهم محمد بن يوسف بن هود الجُذامي (أصله من سرقسطة)، كان في مرسية وأطاعته مدن كثيرة ،مثل مرسية وقرطبة واشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية، وغيرها .[1]

وتصدى لمنافسة ابن هود على حكم بقايا الأندلس رجل من قرطبة هو محمد بن يوسف بن نصر وعُرفوا ببني الأحمر، فاستبد بحكم غرناطة سنة 529 هــ وتنافسا وأضاعا مدنا وحصونا في أيدي العدو؛ الذي استنجدوا به؛"فرديناند الثالث ملك قشتالة وولده **ألفونسو** التاسع ملك ليون."[2]

فكان القرن السابع عصر انهيار حقيقي، وكان عصر بني الأحمر الصحوة العربية الإسلامية الأخيرة في الفردوس الأندلسي، واستمرت دولتهم أكثر من قرنين ونصف قرن من الزمان وكانت مدة حكمهم تجمع بين الجهاد والمقاومة والهجوم والدفاع على امتداد زمانهم من جهة وبين النهضة المجددة في مناحي الحياة العلمية والعملية والثقافية والعمرانية من جهة أخرى[3].

وبعد أن ازدهر بنو الأحمر في حروبهم وعلومهم وفنونهم عدا عليهم الزمان، فأنزل أواخرهم من عروشهم وافقدهم سلطانهم، وماتوا في حسرة على عزهم وسطوتهم وأبهتهم وعظمتهم وكانوا آخر من ملك بالأندلس[4].

وفي سنة 898 هــ / 1492 مــ؛ أي بعد ثمانية قرون من الفتح الإسلامي للأندلس، وفي ثاني ربيع الأول من سنة سبع وتسعين وثمانمائة، استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمائة من الأعيان رهنا خوفا من الغدر [5]. فقد استطاع فرديناند وإيزابيلا أن يهزموا بني الأحمر شر هزيمة وذلك بعد أن هاجموهم في عقر

---

[1] – يُنظر: محمد رضوان الداية،" في الأدب الأندلسي"، ص: 39.

[2] – يُنظر: محمد رضوان الداية، " المرجع نفسه "، ص: 39.

[3] – يُنظر: محمد رضوان الداية، " المرجع نفسه "، ص: 39.

[4] – يُنظر: أحمد أمين، "ظهر الإسلام"، 3/ 35.

[5] – يُنظر: المقري ، " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، 525/4

دارهم، وبعدها مباشرة سقطت غرناطة في 21 محرم سنة 898 هـــ / 25 نوفمبر 1492 [1] ، آخر معقل من معاقل الإسلام في الأندلس وسلم أبو عبد الله آخر ملوكها مفاتيح المدينة للغالبين وعلى رأسهم فرديناند قائلا له: هذه المفاتيح هي آخر ما بقي من سلطان العرب في اسبانيا خذها فقد أصبح لك ملكنا وأشخاصنا كما قضت مشيئة الله تعالى[2].

ثم خرج أبو عبد الله من الحمراء باكيا فقالت له أمه: قولتها المشهورة: "ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال" وفي سنة 1018 هـــ / 1609 مـــ خرج أو قتل آخر عربي مسلم بقي في تلك الأصقاع .[3]

وهكذا حكَم المسلمون بلاد الأندلس أكثر من ثمانية قرون فتركوا فيها آثارا إسلامية عظيمة وقيمة مادّية وروحية وخلقية واضحة المعاني ولا سيما في المناطق الجنوبية التي استقر فيها المسلمون حتى آخر أيامهم في الأندلس فكانت الأندلس بحق جنة على وجه الأرض ومنهلا عذبا للعلم والمعرفة يتقطر عليها طلاب العلم والثقافة والباحثون من فجّ عميق لينهلوا من مناهلها العذبة، ويرتووا من منابعها التي لا تنضب[4].

3 ــ الحركة الفكرية في الأندلس:

3ــ 1: عصر الإمارة والخلافة: قبل أن أبدأ الحديث عن الحركة الفكرية في بلاد الأندلس المسلمة لا بد من تبيُّن أوّل أثر عربي شهدته الأندلس، وهو الخطبة الشهيرة والبليغة التي نُسِبت إلى طارق بن زياد والتي ألهب بها حماس جنده بعد أن أحرق سفنه وحث أتباعه على الصبر والجلد والاستبسال في ساحة الوغى. [5]

وقد طعن البعض في نسبة هذه الخطبة لطارق زاعمين أن الرجل بربري وبالتالي من أين له بهذه الفصاحة، وهو لا يجيد العربية، على كل حال لن أدخل في مثل هذه التفاصيل؛ لأنّ

---

[1] – يُنظر: المقري ، " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب "، 4/ 525.

[2] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 31.

[3] – يُنظر: قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، ص: 33.

[4] – يُنظر: علي حسن الشطشاط، "تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة"، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص: 13.

[5] – يُنظر: قيصر مصطفى، "حول الأدب الأندلسي"، ص: 42.

موضوعي لا يتطلب مني ذلك، فسواء أكانت هذه الخطبة لطارق أم لغيره و ذلك مستبعد.[1] فإن ما يهمّ فيها أنها تمثل أول أثر عربي وأدبي يُلقى على أرض الأندلس، وبعد ذلك بدأت شعلة الثقافة الأندلسية تذكو مع قدوم كثير من الأمويين وأشياعهم الذين كانوا على قدر كبير من الثقافة، وليس من شك أيضا في أن وفودهم على الأندلس وطأ للثقافة سبيل الانتشار والذيوع وأضف إلى هذا كله رجوع أول بعثة أندلسية درست بالمشرق، من بينها: **يحي بن يحي الليثي** راوي موطأ مالك رضي الله عنه (ت 234 هـــ)،و**عبد الله بن حبيب السلمي** عالم الأندلس كما يسميه **المقري** (ت 238 هـــ)، وغيرهما من الذين حملوا معهم النفحات الشرقية، فتعرّف الأندلسيون على كتب شرقية في اللغة ككتب **الأصمعي** (ت216هـــ) **والكسائي**(ت189هـــ) إمام المدرسة النحوية الكوفية، و **الفراء**(ت207هـــ) ، والعروض والنقد ككتب **الخليل**(ت175هـــ) **و ابن قتيبة**(ت276هـــ) ، و يجدر بنا في هذا المقام أن نذكر الدور الكبير الذي لعبه الأمراء والخلفاء في هذا العصر حيث عملوا على تشجيع النهضة العلمية والأدبية، بالإضافة إلى ما نقله **أبو علي القالي**(ت356هـــ) من كتب في الأدب للجاهليين والأمويين ،نحو شعر **النابغة الذبياني**(ت18ق.هـــ) و **الأعشى**(ت7ـــ)، وشعر **ذي الرِّمة**(ت117هـــ)،و **الحطيئة**(ت45هـــ)، و **جميل**(ت82هـــ)،و**الأخطل** (ت90هـــ)، ومجموعات شعرية كالمفضليات، كل ذلك كان له أثره العظيم في عقولا المثقفين.[2]

ومهما يكن من أمر فإن الأندلسيين قد استوحوا بيئتهم وعبروا عن حضارتهم خير تعبير ومثّلوا العصر أجمل تمثيل، ونظروا من خلال أنفسهم وأبرزوا شعورهم نحو الحياة بكل ما يمور في رحابها[3]. وهذه الحركة الأدبية لم تبدأ نشاطها في قرطبة [4] إلاَّ بعد أن دخلها الأمير عبد الرحمن بن معاوية واتخذها مقرا لدولة بني أمية في الأندلس، وذلك لانشغال المسلمين في عهد الولاة بالفتوحات فيها، والفتن الداخلية بين العرب من ناحية وبين اليمنية من ناحية ثانية وبين

---

[1] – يُنظر: قيصر مصطفى، " حول الأدب الأندلسي "، ص: 42 .

[2] – يُنظر: محمد المنتصر الريسوني، "الشعر النسوي في الأندلس"، قدم له: عبد الله كنون، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1978، ص: 31.

[3] – محمد المنتصر الريسوني، "الشعر النسوي في الأندلس"، ص: 39.

[4] – كانت قرطبة العاصمة الروحية للأندلس المسلمة، يُنظر: روجيه غارودي، "الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة العالم والفكر"، ترجمة: ذوقان قرطوط، دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1995، ص: 6.

الشاميين والبلديين من جهة أخرى. لذلك فإن مشاغل الغزو والخلافات الحزبية والانقلابات المتوالية في الرياسة لم تترك المجال لاتجاه الأذهان إلى التفكير والأدب.[1]

لذلك فإنّه لم يوجد في هذا العصر كُتّاب أو شعراء أو مفكرون، وإن وُجدت بعض الآثار الشعرية القليلة؛ التي وردت على ألسنة بعض الولاة أو الزعماء، ويمكن ارجاع الحركة الفكرية الأندلسية إلى عصر عبد الرحمن الداخل (ت172 هـ)، ذلك أن هذا الفتى الأموي هو الذي أنشأ الدولة الأمويّة بالأندلس، وكان أوّل شخصية بارزة ظهرت في ميدان التفكير والأدب والشعر[2].

فبعد أن استقرّ المسلمون في الأندلس وأمّـــــــنوا على حياتهم ومصدر رزقهم بدأوا في الدراسة والبحث، وأوّل شيء اعتمدوه في بحثهم، هو: **الكتاب والسنة**[3]، فكانت أفكارهم مستمدة من هذين **المصدرين**، وكانت علوم الشريعة وعلوم اللغة وما يتصل بتقويم اللسان، وبصناعة البيان كلّ زادهم من الثقافة، ثمّ مسّت الحاجة إلى العلوم الأخرى ،فبحثوا في الفلك والطب والرياضة والفلسفة وغيرها من العلوم.[4]

وكان لطبيعة الأندلس الجميلة الأثر الملموس في صفاء نفوسهم وتوقد قريحتهم وخصوبة ذهنهم، وسرعة بديهتهم فبرعوا نتيجة لذلك في علوم الدين واللغة والأدب [5].وعبّروا عن حضارتهم خير تعبير ومثّلوا الحياة بكل ما يمور في رحابها ،ولا أدلّ على ذلك من شعر الطبيعة تلك الطبيعة التي سلبت لب الأندلسي. فهام في مجراها يتملى روعتها في دوار لذيذ،

---

[1] – سالم عبد العزيز، "قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس: دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي"، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت ط1، 1971 مـــ، 167/2 ،ص: 169.

[2] – يُنظر:سالم عبد العزيز "قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس"، 2/ 167 ،169.

[3] – لم يكن اهتمام الأندلسيين باللغة والنحو إلا وسيلة للتعمق في الفقه وعلم الحديث، ولذا ظلّت اللغة بمنأى عن الصفوف الأولى في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ولم يَنْزَعْ نجمها إلا في القرن الرابع الهجري.

وأكبر دليل على أن الاهتمام باللغة والنحو في ذلك الوقت وترك الاهتمام بالفقه والحديث كان معيبا ما ذكره الخُشني أنّ اللغوي محمد بن سلام الخشني (ت 286 هـــ) كان قد اُشتهر في أول قدومه من المشرق باللغة والفصاحة، فشق ذلك عليه، وغمه، وترك بعد ذلك قراءة اللغة وانصرف إلى قراءة الحديث، يُنظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، "معجم علماء اللغة والنحو في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة (92 هـــ - 898 هـــ)" ، دار الآفاق العربية، ط1، 1424 هـــ، 2004 مـــ، ص: 8 (مقدمة الكتاب).

[4] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه" ، ص: 43.

[5] – علي محمد سلامة، "المصدر نفسه "، ص: 43.

فرسم اللوحة إثر اللوحة، موزعا الألوان في إبداع مدهش ومن أجل ذلك أتى بمعجز الخيال ورائع التصوير والمعنى **فابن عمار** (ت377هـــ) و **ابن زيدون** (ت463هـــ) و**ابن خفاجة**(ت533هـــ) وشحارير الأندلس شاهد حيّ ناطق على ما ذلك[1]، وأدى ارتباط فن الشعر عندهم بفنون الغناء والطرب إلى ابتكار نوع جديد من الشعر الشعبي يسهُل التغني به، وأعني الموشحات والأزجال، وأقدم من اُشتهر من أدباء قرطبة **أحمد بن عبد ربه**(ت328هـــ) صاحب العقد الفريد الذي يُعتبر ركنا من أركان الأدب الأندلسي ومرآة صادقة لثقافة الأندلسيين في الأدب، ومنهم أيضا عثمان بن ربيعة، وعبد الله بن محمد بن عبد الله الأنصاري، ومن أدباء قرطبة في عصر الطوائف المفكر الكبير **ابن حزم القرطبي**(ت456هـــ) والمؤرخ أبوحيان القرطبي وفي عصر الموحدين ظهر الأديب الكبير أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندي، إذا فقد كانت قرطبة مركـــــــز الحركة الأدبية والعلمية في الأندلس وقلبها النابض، ولكن هذه النهضة التي اتسم بها هذا العصر اشتقت أصولها من المشرق ثم طرأ عليها تطور تدريجي بحكم البيئة الأندلسية .[2]

إذا، فقد استفاد الأندلسيون من المشارقة من الناحية الأدبية فأخذوا عنهم فنون الأدب، وتعلموا منهم، ثم حاولوا أن يُبدعوا وكان لهم ذلك وكما أخذ الأندلسيون فنون الأدب عن المشارقة، فقد أخذوا عنهم أيضا علوم اللغة فبعد أن فتحت الأندلس من قبل المسلمين راح علماؤها الأجلاء يجمعون بين العلوم الفقهية والدراسات اللغوية؛ لما لها من صلة بالقرآن الكريم، وكان من رواد هذا الاتجاه في الأندلس: أبو موسى الهواري، وهو أوَّل من جمع الفقه في الدين وعلم العرب في الأندلس، ورحل في أول خلافة الإمام عبد الرحمن معاوية رضي الله عنه فلقي مالكا ونظراءه من الأئمة ولقي الأصمعي(ت 216هـــ) وأبا زيد الأنصاري(ت215هـــ) ونظراءهما وداخل الأعراب في مجالها، ولّما صدر عن سفره عطب بنحو تدمير، فذهبت كتبه فكان يقول "ذهب الخرج وبقي ما في الدرج، أنا شعبي زماني"[3]، وكان له

---

[1] – محمد المنتصر الريسوني، "الشعر النسوي في الأندلس"، ص: 31.

[2] - سالم عبد العزيز،"قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس"، 167/2 ، 169.

[3] – الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي (ت 379 هـــ)، "طبقات النحويين واللغويين"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص: 253.

كتاب في القراءات وكتاب في تفسير القرآن، وكانت العبادة أغلب عليه من العلم [1]، بيد أن أول من اختصّ في النحو هو **جودي بن عثمان** (ت 198 هـــ)، والذي قيل عنه بأنه أول من صنّف كتابا في النحو في الأندلس بعدما تتلمذ للكسائي والفراء، وهو أوّل من أدخل كتاب الكسائي، وله تأليف في النحو. [2]

وهكذا شقّ النحو الكوفي طريقه إلى الأندلس، ورسخت قدمه على يد مفرج بن مالك النحوي المعروف **بالبغل**(ت317هـــ)؛ الذي شرح أحد كتب الكسائي مثلما فعل بعد ذلك بنحو قرن أحمد بن أبان النحوي (ت 382 هـــ)[3]، ويرى علال الفاسي أن النحو الكوفي استمر في المغرب كما يشهد لذلك اصطلاحات ابن آجروم (ت 723هـــ) الصنهاجي، واختياراته ويعيد السبب في تأصيله إلى تعلق المغاربة بما ترمز له الكوفة من ولاء لعلي بن أبي طالب وللعترة الشريفة[4]، وفي أواخر القرن الثالث الهجري، أدخل محمد بن موسى بن هشام الأقشتين(ت307هـــ) كتاب سيبويه(ت180هـــ)، وانطلقت حركة قراءته وتوالت عليه التعليقات والشروح، وممن اشتهر بدراسته: هارون بن موسى القرطبي (ت 401 هـــ) [5]؛ الذي شرح عيون الكتاب، وشهد القرن الرابع الهجري تطورا كبيرا في الدراسات النحوية واللغوية في الأندلس؛ امتاز بامتزاج عدّة اتجاهات كان لها الأثر البالغ في تكوين المدرسة الأندلسية، منها: امتزاج بين آراء الكوفيين والبصريين، وتطوير المذهب البغدادي وتقنينه، وتلاق بين المنطق والنحو وتركيز على التحاليل والتدقيق والاستنباط [6]، وبالرغم مما قلناه سابقا من أن الأندلس عرفت نحو الكوفة قبل أن تعرف نحو البصرة، فإن العربية في هذه البلاد كانت من حيث النحو واللغة تقوم على مذاهب أهل البصرة وعلى فكر سيبويه وكتابه على

---

[1] – الزبيدي، " طبقات النحويين واللغويين "، ص: 256 .

[2] – محمد المختار ولد أباه، "تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1429 هـــ/ 2008 مـــ، ص: 223.

[3] – محمد المختار ولد أباه، "تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب"، ص: 223 .

[4] – يُنظر: علال الفاسي، "سيبويه والمدرسة الأندلسية المغربية في النحو" ، "مجلة اللسان العربي"، مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1395 هـــ/ 1975)، المجلّد:12، 1/ 79 ــ 80.

[5] – السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911 هـــ)، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004 مـــ/ 1425 هـــ، 1/ 318.

[6] – يُنظر: محمد المختار ولد أباه، "تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب"، ص: 244 .

الخصوص؛ بحيث نستطيع أن نقول إنّ أثر الكوفة في الأندلس لا يكاد يكون محسوسا، اللّهم إلاّ عندما يكتب نحاة الأندلس الكبار كتبا موسعة في النحو، فيعنون بإعطاء بعض الأصداء لمسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين، نجد ذلك في كتب **أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي**(ت380هـــ)، وفي استدراكاته على سيبويه، كما نجده في كتاب الأفعال لابن قوطية وشروحه، وفي أعمال **الأعلم الشنتمري**(ت476هـــ)، وأحسن من شرح شواهد كتاب سيبويه، كما يظهر عند كبار نحاة المدرسة الأندلسية: **ابن خروف** (ت609هـــ)**بن عصفور**(ت669هـــ)، و**ابن مالك**(ت672هـــ)[1].

إذا، فقد أصبح سيبويه في الأندلس الإمام الذي ليس قبله ولا بعده، والمرجع الذي ينهل منه كل متخصص في النحو العربي، حتى أنّ **أبا بكر محمد بن الحسن الزبيدي**(ت380هـــ) النحوي قال في مقدمة كتابه "الاستدراك على سيبويه": "فإنني رأيت علماء النحو في زماننا هذا وما قاربه قد أكثروا التأليف فيه، وأطالوا القول على معانيه، فأملّوا الناظرين، وأتعبوا الطالبين بتكرار معان قد بينت، وركوب أساليب قد نهجت، فلم يخل أكثرهم بغير إعادة ما تقدم إليه، والتكثير فيما سبق إلى القول عليه، وقد كان ينبغي لمن همَّ بذلك منهم أن يتصفح كتاب عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه، فينظر إلى مبادئ كتابه، وعناوين أبوابه، ويرى لطائف معانيه، ودقائق حجاجه، إلى الإيجاز في قوله، والايعاب لمراده فيزجره ذلك – إذا كان ذا حجى – عن تكلف ما لا حاجة إليه، ويمنعه الاعتناء بما لا معول عليه "[2].وبذلك يكون الأندلسيون قد قرُّوا قرارهم على منهج سيبويه في دراسة أبنية اللغة.[3]

3 ــ 2: عصر الطوائف: على الرغم من كون عصر الطوائف (422هـــ / 493 هـــ) عصر التمزق السياسي لهذه المملكة الإسلامية، فإنه قد شهد نهضة فكرية لم تبلغها الأندلس في عصورها المختلفة[4]؛ حيث أنّ شجرة الفكر أثمرت في هذا العصر عددا من النوابغ

---

[1] – يُنظر: علال الفاسي، "سيبويه والمدرسة الأندلسية المغربية في النحو" ص: 102.

[2] – يُنظر: علال الفاسي، " المرجع نفسه"، ص: 102.

[3] – يُنظر: علال الفاسي، " المرجع نفسه "، ص: 102.

[4] – محمد إبراهيم البنا، "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي"، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ط 1، 1405 هـــ / 1985 مـــ، ص: 13.

في العلوم والآداب[1]، فمن أبرز العلماء الذين حفل بهم هذا العصر: أبو محمد بن حزم (ت 456 هـــ)، وكان إمام الظاهرية في عصره، وأبو الوليد الباجي صاحب "المنتقى في شرح الموطأ"[2].

كما راجت سوق العلوم والفنون والآداب متابعة لما كان، أو محاولة من حكام دول الطوائف لتكون لهم سابقة في هذا الجانب الثقافي، وفي كتب التراجم إشارات كثيرة إلى كتب ألّفت، وأهديت إلى أولئك الحكام، وطرّزت بأسمائهم في الآداب والعلوم والفلسفة [3] والطب والصيدلة، إلى غير ذلك[4].وبعدما كان من المعتاد أن يولّي الأندلسيون وجوههم شطر المشرق، يأخذون عن أعلامه، وهي رحلة الطلب والتلمذة، أصبحت الأندلس في عصر ملوك الطوائف مقصد العلماء والطلاب[5].

3 ــ 3: عصر المرابطين: لم تعرف فيه الأندلس ما عهدته في عصر ملوك الطوائف من لون الحياة الفكرية، وذلك لما عرف به هذا العصر من كثرة الثورات والجهاد المتواصل؛ حيث لم تعرف فيه الأندلس الاستقرار إلا أعواما قليلة[6].

كما تميّز هذا العصر باستبداد الفقهاء الذين أرادوا أن يصبغوا الحياة بصبغتهم، وكانت غايتهم لا تعدوا معرفة الفروع على مذهب الإمام مالك، ومن ثمّ رفضوا الأصول [7]، ولذلك لم يكن "يقرب من أمير المسلمين في عهدهم، ولا يحظى عندهم إلا من عَلِمَ الفروع، فروع مذهب مالك"[8]، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب وكفّر العلماء من عمل في علم الكلام، وأحرقت كتب الغزالي(ت505هـــ)[9].

---

[1] – علي بن محمد، "النثر الأدب الأندلسي في القرن الخامس: مضامينه وأشكاله"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990، ص: 93.

[2] – محمد إبراهيم البنا، "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي"،ص: 13.

[3] – يقول روجيه غارودي: "هذا الإسلام في الغرب قد حمل إلى قرطبة أروع ثماره في الفلسفة من ابن مسرة إلى ابن عربي، ومن ابن حزم إلى ابن ماجة إلى ابن طفيل والى ابن رشد ."، يُنظر: روجيه غارودي، "الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة العلم والفكر"، ص: 07.

[4] – محمد رضوان الداية، "في الأدب الأندلسي"، ص: 41.

[5] – يُنظر: محمد إبراهيم البنا، "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي"، ص: 14.

[6] – يُنظر: محمد إبراهيم البنا، " المصدر نفسه " نفسه: 18.

[7] – يُنظر: محمد إبراهيم البنا، "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي "، ص: 18.

[8] – المراكشي " المعجب في أخبار المغرب "، ص: 151.

[9] – يُنظر: المراكشي " المعجب في أخبار المغرب "، ص 151، وينظر: إحسان عباس "تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين"، دار الثقافة، بيروت ــ لبنان، ط6، 1981، ص: 69.

3 ــ 4 : **عصر الموحدين:** كانت سياسة الدولة في هذا العصر تقوم على أساس إطلاق حرية البحث والفكر، على النقيض مما كان متبعا في عصر ملوك المرابطين من تقييد لهذه الحرية وتزمّت مقيت، ومطاردة لكتب الغزالي وغيرها من أمهات الكتب المشرقية؛ التي لا تتفق ونظرهم إليها[1]، لذلك عُدّ هذا العصر من أزهى عصور الأندلس، فقد تكاملت له أسباب الازدهار، وخرجت به الأندلس إلى منطلق الحياة الفكرية بعد الذي عاشته في ظلال المرابطين فترة من الزمن[2].

وكان من نتائج رعاية الموحدين للعلم والعلماء أن تقاطر العلماء على مراكش حاضرة الموحدين، وكان من أعلامهم: الشيخ أبو القاسم السهيلي(ت 581هـــ)، وأقبل الطلاب من المغرب على معاهد الأندلس؛ فانتعشت الحياة الفكرية في هذين البلدين، وسطع في هذا العصر من الفلاسفة: ابن طفيل(ت581هـــ)، وابن زهر(ت557هـــ) وابن رشد(ت 595)وابن الرومية(ت637هـــ)وابن البيطار.واشتهر من الشعراء: الرصافي، وصفوان بن إدريس(ت 598هـــ)وحفصة (ت 586هـــ)شاعرة غرناطة[3]، وشهد عصر الموحدين من العلماء والمحدثين ما لم يشهده عصر آخر[4].

كما نشط العلماء في التدوين والتأليف، وكان للنحو واللغة نصيب وافر وأصيل بين هذه المصنفات[5]، ومن بين الذين برعوا في التأليف في اللغة والنحو عدد لا يستهان به من العلماء، نذكر منهم: "الحسن بن أحمد بن الحصين بن عطاف العقيلي" من أهل جيان، وقد برع في اللغة والأدب، وله شرح لمقصورة "ابن دريد" [6]، ومن هؤلاء العلماء الذين اشتهروا في عصر الموحدين: موسى بن علي بن عامر من أهل اشبيلية، وقد اشتهر بالجزيري، وكان عمدة في النحو، يؤخذ عنه ويؤثر به، وله شرح لكتاب "لحن العامة" للزبيدي، وشرح لكتاب "التبصرة" للصميدي، وكتاب آخر اسمه "الاستيضاح في شرح الإيضاح"[7].

---

[1] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 53.

[2] – يُنظر: محمد إبراهيم البنا، " السهيلي ومذهبه النحوي "، ص: 30.

[3] – – يُنظر: محمد إبراهيم البنا، " المصدر نفسه "، ص: 33.

[4] – محمد إبراهيم البنا، " السهيلي ومذهبه النحوي "، ص: 33 .

[5] – علي محمد سلامة، " الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه " ص: 55 .

[6] – محمد إبراهيم البنا، "السهيلي ومذهبه النحوي"، ص: 33.

[7] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه " ص: 55 .

3 ــ 5: **عصر بني الأحمر**: رغم الظروف القاسية التي عرفها الأندلس في هذا العصر سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية، وكذلك الصراعات المدمرة التي سيطرت على سياستها، فهذا كله لم يمنع من وجود ثقافة زاهية وحافلة بأعلام الفنّ والمعرفة، وظلّت غرناطة منار إشعاع فكري وحضاري[1].

وقد ظهر عدد لا بأس به من العلماء؛ بحيث نبغوا في هذه الفترة في صنوف العلوم والصنائع والمعارف والآداب والفنون، وصارت مدينة غرناطة وأخواتها الباقيات منارة علم وأدب وفن، وصنعة متقنة وعمل متقن[2].

ومن أبرز العلماء الذين برزوا في هذا العصر: أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسن، وهو من "سبتة"، ونزل غرناطة، وقد ولد سنة 697 هـــ وتوفي سنة 760 هـــ، وكان فاضلا متقدّما في العلوم والمعارف، وكان قاضيا لغرناطة، وله مؤلفات عدة، منها: شرح على مقصورة حازم القرطاجني سماه "رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة"، وشرح على الخزرجية في العروض[3]. ومن هؤلاء العلماء أيضا: أبو زيد عبد الرحمن المكودي (ت 708 هـــ)، وكان إماما في اللغة والنحو والعروض، وله شرح على الألفية وشرح على الأجرومية، وشرح على المقصور والممدود لابن مالك، وغيرها، واشتهر بمقصورته التي أعـــــدها في مدح النـــــبي ε [4].

ومن علماء الحديث في هذا العصر: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن فرج اللخمي الاشبيلي، وقد ولد سنة 625 هـــ/ 1227 مـــ، وتوفي سنة: 699 هـــ/ 25 مارس 1300 مـــ، وله شرح الأربعين للنواوي[5].

ومنهم: أبو الحسين عبيد الله بن احمد بن أبي الربيع الأموي القرشي، وكانت ولادته في شهر رمضان سنة 599 هـــ/ مايو سنة 1202 مـــ، وتوفي باشبيلية سنة 688 هـــ/ 1289 مـــ، ومن كتبه: "الملخّص في النحو" و"القوانين النحوية" و"الإفصاح في شرح الإيضاح"[1].

---

[1] – يُنظر: علي محمد سلامة، " المصدر نفسه "، ص: 58.

[2] – محمد رضوان الداية، " في الأدب الأندلسي"، ص: 40.

[3] – علي محمد سلامة، "الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 58 .

[4] – المقري،" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ين الخطيب "، 5/ 28 ، و ينظر: السيوطي،"بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 117/2 .

[5] – علي محمد سلامة، " الأدب العربي في الأندلس: تطوّره وموضوعاته وأشهر أعلامه "، ص: 58 .

ومن اللغويين الذين برزوا في هذا العصر: أبو سعيد فرج بن لب التغلبي، وكان عالما في الفقه وعارفا بالعربية واللغة، ومعرفة التوثيق والقيام على القراءات والتبريز في التفسير، وقد ولي الخطابة بجامع غرناطة، وقعد للتدريس، وأقرأ بالمدرسة النصرية [2]، بالإضافة إلى علماء آخرين يطول ذكرهم، لذلك سأكتفي بما ذكرته حتى لا أطيل.

كانت هذه لمحة تاريخيّة وفكريّة عن بلاد الأندلس، حيث حاولت من خلالها أن أقف على مراحل الحكم العربي في هذه البلاد والحركة الفكرية التي ميّزت كلّ مرحلة ، أما فيما يخصّ الفصل الأوّل فسأنتقل فيه إلى الحديث عن نشأة المدرسة الأندلسيّة وكيفيّة استفادتها من المدارس النحويّة السابقة لها .

---

[1] – يُنظر: السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة"، 2/ 152.

[2] – يُنظر: المقري ، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ين الخطيب "، 5/ 509 ،511.